

قصص التاريخ العثماني

الأمير چم وقصته

قصة تثير الشجون والاحزان وتملأ القلوب الرحيمة شفقة وحناناً . وجدت فيها موعظة وعبرة فأحببت ألا يحرم منها قراء العربية لما لحواذتها من الاتصال الوثيق بالتاريخ المصري ولما حوته من الحقائق الهامة عن سياسة أوروبا نحو الشرق عامة والاسلام خاصة . والحق أننا الآن في أشد الاحتياج الى مثل هذه الحقائق لتكون نبراساً نهتدى به في علاقاتنا مع أمم تلك القارة العظيمة .

لم يوجد في مؤرخينا من عني بتحليل هذه القصة تحليلاً اجتماعياً وأوضح الأثر الذي تركته في تاريخ مصر . كما انه ليس فيهم من رواها رواية تفصيل . ولذلك فان كثيراً من قراء العربية لا يعلمون من هو الأمير « چم » في الواقع ، وما علاقة مصر به ؟ ومتى بدأت هذه العلاقة ومتى انتهت ؟ وما شأن أورربا معه ؟ وسأحاول الاجابة على هذه الاسئلة بقدر ما يمكن من الاختصار .

(١) چم أو كما يسميه الاوروبيون « زيزم » أمير شرقي بأس وشاب سيء الطالع عبست له الاقدار حيث كان يأمل ابتسامها ، وتنكر له الزمان حيث كان يرجو صفاءه . هو ثاني أنجال السلطان محمد الفاتح وكان قد جمع بين الذكاء وقوة البنية ، وجمال الخلقة ، ودمائة الاخلاق ، والى الشجاعة ، رقة الاحساس . وكان فوق هذا شاعراً مبدعاً في شعره . عينه والده والياً على قسطنطيني وله من العمر عشر سنين وكان في هذه المدينة طائفة صالحة من الشعراء ، فاختلط بهم الأمير وتلقى عنهم الشعر وقارضهم اياه حتى نبغ فيه نبوغاً تفوق به على أساتذته . وترجم من الفارسية قصة شعرية اسمها « خورشيد وجمشيد » أهداها لوالده ، فأعجب بها كثيراً . وكانت هذه القصيدة أولى آثاره الشعرية . ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره عينه والده والياً على بلاد كرمان وهي بلاد واقعة في الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى والآن في جنوب ولاية قونية وشرق ولاية ادنه . وكانت هذه البلاد امارة من امارات السلجوقيين التي استولى عليها سلاطين آل عثمان ولكنها

لم تخضع لهم تماماً وكانت لا تنفك تزعمهم بثوراتها المتوالية التي كان يشعلها أمراؤها السابقون ، يعضدهم في ذلك ملوك الشراكسة في مصر طوراً ، وملوك الفرس طوراً آخر . فلما وليها « چم » تمكن من إخضاعها لما له من شدة البأس وقوة المراس ، وهابه أهلها وأحبوه لما كان يبدية من ضروب الفروسية والمهارة في استعمال السلاح ، حتى لقد كان يغالبهم في كل نوع من ألعاب الفروسية ، فيغلبهم فيه حتى لقبوه بالمصارع الأول

ظل يسوس شؤون هذه الولاية خمس سنين في دعة وطمانينة . ولما لم يجد في أحوالها ما يشغل باله ركن الى اللذات وأطلق العنان لشهواته ، فأصبح قصره مهبطاً الايناس ومسرحاً للحدود والولدان ، ونادياً للشعراء والمغنين ، فترك ذلك عليه حفيظة المتدينين والحاسدين ، فرموه بالخلاعة وأتهموه بالفجور . وانقسم وزراء الدولة في شأنه الى حزبين ، حزب يرى فيه الرجل الذي يملأ عرش أبيه بعد موته ويحفظ للدولة فتوحاتها ويصد عنها غارات الدول المتآكلة عليها ، ويتم ما بدأ به والده . ورئيس هذا الحزب هو الصدر الاعظم محمد نشاني باشا . أما الحزب الآخر فهو حزب المتدينين الذين يرون فيه شاباً خليعاً منهمكاً في اللذات ورئيسه شيخ الاسلام . وكانت ولاية العهد لأخيه الأكبر « بايزيد » تبعاً لقانون وراثته العرش . فلما مات السلطان محمد الفاتح ، أخذ الصدر الأعظم يمهّد الطريق لارتقاء « چم » على العرش وحرمان أخيه فأخفى موت السلطان عن الجند حتى يدبر طريقة للتخلص من « بايزيد » وأرسل رسولا سرياً الى « چم » بخطاب يعامه بموت أبيه ، وبرغبته في اجلاسه على عرشه ، ويوصيه بعمل ما يمكنه للتكامل بأخيه « بايزيد » وفي نفس الوقت أرسل رسولا رسمياً الى « بايزيد » وكان والياً على اماسيا ، ينعي اليه أباه ، ويدعوه لارتقاء العرش .

ذهب الرسولان وكان من سوء حظ « چم » أن علم سنان باشا والي كوتاهيه وكان من حزب « بايزيد » برسالة الصدر الأعظم اليه ، فقبض على الرسول وأعدمه . ومما أفسد تدبير الصدر الأعظم ، فضلاً عن حادثة القبض على رسوله ، ان الجيش علم بموت السلطان ، فثار الجند ودخلوا السراي وأخرجوا منها الأمير كوركود ابن بايزيد وكان مع ابن عمه چم رهينة عند جندهما تضطر والديهما الى الاخلاص ونادوا به سلطاناً مؤقتاً الى أن يحضر والده . وبذلك فشلت مؤامرة الصدر الأعظم

وانتصر حزب بايزيد . ولما انكشف خبر المؤامرة قتل الشوار الصدر الاعظم .
وهنا تبدأ الصحائف السوداء في تاريخ جهم بلى تبدأ مصائبه وآلامه .
وصل رسول بايزيد اليه بأقصى السرعة وأسرعه هو أيضاً بالحضور كأنه كان
عالماً باطماع أخيه وخائناً من أن يفتك به قبل وصوله الى الاستانة وقد كان بايزيد
ضعيف الارادة جباناً ميالاً للغدر والدسائس فلما وصل الاستانة أحاطت به عساكر
الانكشارية تطلب العطايا والصلات ، أو بعبارة أخرى تطلب ثمن اجلسه على
العرش حتى انها لم تتركه يدخل من باب السراى حتى وزع عليها العطايا والمنح التي
انقلبت فيما بعد ديناً يدفعه كل سلطان يرتقى العرش وكان بايزيد أول من
سن لملوك بنى عثمان هذه السنة السيئة التي أضحت وبالا وشرّاً على هذه
الامبراطورية .

بويج لبايزيد بالسلطنة وبعد أن دفن والده باحتفال مهيب أخذ يرقب حركات
جهم الذي لم يعلم بموت والده وبقتل رسول الصدر اليه وبقتل الصدر نفسه بعد
ذلك الا في النهاية وفاته الفرصة وأفلت بايزيد من يده . وها هو ذا الآن
سلطانه الذي تجب عليه طاعته فماذا يعمل ؟ كان يعلم ان بايزيد يكرهه ويخشاه معاً
ويعلم ان بايزيد واقف على ما كان يدبره له جهم من المكائد . فماذا يكون موقفه
بعد أن صارت القوة اليه والسلطان في يده ؟ أدرك تماماً ان حزبه مات بموت
الصدر الاعظم ، وان الجيش ضده وان العلماء ورجال الدين أعداءه ، ولكنه
تعزى بشيء آخر بعث الامل في نفسه . كان يعلم ان رجال قرمان الاشداء يحبونه
وانهم يلبون نداءه اذا دعاهم للقتال وان بايزيد ضعيف لا يقدر على الثبات أمامه
ولقد فكر كثيراً فلم يجد أمامه الا طريقتين إما الخضوع لبايزيد والاستسلام له
وتركه ينعم بأبهة الحكم في هذه الامبراطورية العظيمة ؟ وهنا ساورته الوسوس
هل يبقى عليه بايزيد ويتركه حراً ينعم بولاية قرمان ، يتربص به الفرص ؟ هذا
ما كان يشك فيه . وإما أن يلجأ الى السلاح ويحكم السيف بينه وبين أخيه .
أسقط في يده وتحير في أمره ، ولكنه قر على اختيار الطريقة الثانية ، إذ هي أحفظ
للكرامة وأليق بالشرف ، وكان يريد أن يباغت أخيه قبل أن يستعد له فأسرع
في جمع جيش صغير زحف به على بورسه وهي مفتاح الاستانة والعاصمة القديمة للدولة
وعلم بذلك السلطان فأسرع في ارسال قوة صغيرة تحت قيادة إياس باشا لتوقف

زحفه واجتاز السلطان الى الشاطيء الاسيوى ليشرق بنفسه على إعداد الجيش .
وصل الامير جم واياس باشا الى بورسه في وقت واحد وأراد كل من الجيشين
أن يدخل المدينة فلم يمكنهما الا هالى من ذلك خوفا على مدينتهم من النهب والسلب .
ثم تقابل الجيشان وحصلت بينهما معركة صغيرة اسفرت عن انتصار جم وهزيمة
اياس باشا وأسرته . وسر جم بهذا الانتصار كما سر به أهالى بورسه ، الذين فتحوا
له أبواب المدينة فدخلها ونودى به سلطانا عليها وخطب باسمه على المنابر
وضربت النقود باسمه .

لقد خيل اليه انه أصبح سلطانا وها هو ينعم بعظمة الملك اذن فليس أمامه الا عقبات
يسهل تذليلها . ألم ينجح في أول حملة ؟ ألم يرافقه التوفيق فيها ؟ اذن فلا بد من
نجاح آخر ولا بد من صعود نجمه . ليست المقدمات تبشر بذلك ؟ هذا ما كان
يشغل ذهن الامير الشاب وهذا ما كان يملك عليه حواسه ، فلم يدعه يفكر في موقفه
ويوازن بين قوته وقوة اعدائه حتى يعد للأمر عدته ، فخافه الحظ وغدرت به
المقادير ، فما لبثت سلطنته أن تهدم قائمها وانذكت جوانبها . جهز السلطان جيشاً
عظيماً تحت قيادة سنان باشا وزحف به على بورسه وهناك انضم اليه جيش آخر
تحت قيادة ولده عبدالله الذى كان والياً على مغنيسا ، فلما رأى نصوح قائد جيش
الامير جم كثرة جيش السلطان انسحب إلى مضيق أزواد ، واضطر الامير إلى
اخلاء بورسه آسفاً على سلطنة لم تدم إلا سبعة عشر يوم . ولم يعتمد بايزيد في
قتال جم على قوة جيشه العظيم فقط ، بل حاربه بسلاح الدسائس فاتصل بحاشيه
الامير وزين لهم خيانة سيدهم بعد أن وعدهم باسمى المناصب فاستجابوا له وأخذ
المدعو يعقوب ، رئيس تشريفات الامير ، زين له الانسحاب بجيشه إلى سهل
ينى شهر نخدع الامير عن ذلك ونادى بالرحيل إلى ينى شهر وهناك تقابل الجيشان
وانحاز نصوح قائد جيش جم بقسم عظيم من الفرسان إلى جيش السلطان فكانت
هزيمة منكرة ارتد معها جيش الامير ، وتقوضت بها صروح آماله وأفل بها نجم
سعدده أفولاً لم يشرق بعده أبداً .

فأتى أن أذكر أمراً له بعض الخطر في هذه القصة ، وهو أن الامير لما علم
قبل أن يغادر بورسه بقدم السلطان بهذا الجيش العظيم أحس بضعفه وأدرك
صعوبة انتصاره ، فارسل وفداً للسلطان تحت رئاسة سلجوق خاتون عمه السلطان

محمد الفاتح تعرض عليه اقتسام الملك بينه وبين أخيه على أن يكتفى السلطان بحكم البلاد التي في أوروبا وجم بحكم البلاد التي في آسيا . وبينما هي تحاول تحريك عاطفة المحبة الاخوية في نفس السلطان قال لها « لأرحام بين الملوك » فرجع الوفد خائباً ووقع ما ذكرنا وهزم جيش جم وفر هو ناجياً بحياته . ولم تقتصر خسارته على انه فقد ملكاً وجيشاً بل أن قوماً من عساكره سلبوه متاعه وقوماً آخرين أصابوه بجرح اليم . فلما وصل غداة الهزيمة إلى آفشهر كان مجرداً من ملابسه ترتجف أعضاؤه من البرد ، ولولا أن رئيس ديوانه خلع عليه معطفه لمات من شدة الزمهرير بعد مضي أسبوع على هذه الواقعة وصل جم إلى قونيه ، وبعد أن استراح فيها ثلاثة أيام ، سافر إلى سوريا ومعه أمه وزوجه ومنها وفد إلى مصر التي وصلها في ٢٨ يونيه سنة ١٤٨٢ . ولقد عظفت مصر على هذا الأمير وأحسنته لقاءه . ففي حلب ، وكانت تابعة لمصر ، لم يدخر الوالي وسعاً في سبيل تخفيف مصابه وكذلك في دمشق استقبل استقبالاً عظيماً وانزل في قصر (الابلق) حيث أقام سبعة أسابيع مع حاشية تتكون من ثلاثمائة شخص وكذلك في القدس وغزة كان محلاً للحفاوة والاكرام . أما في القاهرة فكان استقباله غاية في العظمة والجلال اذ هرع لاستقباله السلطان قايتباي وكبار رجاله وعانقه معانقة حارة وسار معه في موكب حافل إلى قصر من قصوره ، ووجه له من عبارات الترحيب والتشجيع ما هون عليه المصائب . وهنا يجب أن نلفت الانظار إلى ما أحدثته هذه الزيارة في نفس السلطان بايزيد من الحقد والضعينة على مصر فزاد بذلك توتر العلاقات السياسية وكانت قائمة بين الدولتين على طمع كل منهما في توسيع حدودها على حساب الاخرى . وكان ذلك من أكبر أسباب الفتح العثماني الذي ضرب استقلال مصر ضربة لا تزال تن من منها حتى اليوم .

أقام جم في القاهرة أربعة أشهر ثم كان موسم الحج ، فذهب الى الحجاز وقضى فريضة الحج وزار قبر النبي ثم رجع الى القاهرة وهناك وجد كثيراً من رجال الدولة العثمانية الحائقين على بايزيد يزينون له الرجوع الى بلاد قرمان والسعى الى استخلاص الملك من يدى بايزيد وعاهدوه على ان يحضوه العون والتعزيد . وكان من بينهم قاسم بك أمير قرمان . وأخذ الأمير بوعودهم وترك القاهرة قاصداً الى حلب فلما وصل اليها وجد فيها كثيراً من قواد جيش بايزيد

الذين انشقوا عليه ينتظرونه ، فتوجه معهم الى كليشيا وقطع على نفسه لقاسم بيك عهداً ان يجعله إذا كتب له الانتصار حاكماً مستقلاً على بلاد قرمان ووعد غيره بوعود أخرى ، ثم تحرك بالجيش الذي كان قد أعدوه له قاصداً قونيه . فلما علم بايزيد برجوع جم أسرع بالحضور للقائه وكان يقود جيش بايزيد قائد من أعظم قواد زمانه وهو كديك أحمد باشا الشهير فاتح اترنتو (من تغور ايطاليا) وحدث بين الجيشين بضعة مواقع صغيرة انتهت بفشل جيش جم وتشتته وأصبح الأمير وحيداً للمرة الثانية فاضطر الى الهرب والاعتصام بحبال قرمان (كليشيا) وهنا يبدأ القسم المحزن من قصة الأمير وبدئه حياة آلام وشجون . أرسل له بايزيد وفدا يدعووه الى الخلود الى السكون ويؤمنه على حياته فاشترط جم أن يعطى بضع ولايات من الاناضول فلم يقبل بايزيد قائلاً « ان الملك لا يقبل القسمة على أكثر من واحد » وطلب اليه ترك التنازع على الملك والاقامة في هدوء وراحة ملقياً عليه تبعة أراقة دماء المسلمين . فلم يقبل جم تكاليف بايزيد وهنا يرد الى الخاطر سؤال : ماذا كان يرجو بعد ان جرب حظه مرتين فخانه ؟ أما كان يجب عليه الرضوخ للظروف والتسليم بالامر الواقع ؟ ربما كان هذا السؤال حقاً في ذاته وربما كان جم قد أخطأ في رفض الصلح ولكننا يجب ان لا ننسى ان بايزيد غدار وان تقاليد سلاطين آل عثمان كانت تقضى على كل سلطان بقتل اخوته حتى ولو لم يذنبوا اليه . ولما رأى بايزيد ان طلباته رفضت أمر فرسانه بمطاردة الأمير فدخلوا كليشيا وأسقط في يد الأمير وخاف سؤ العقبى فاستشار قاسم بك فيما يفعل فزين له الالتجاء الى ملوك أوروبا ليعاونوه على قتال أخيه والاستيلاء على عرش والده . كانت هذه النصيحة ملعونة مشؤمة وان كانت نظرياً لها مسوغات كثيرة . لان ملوك أوروبا كانوا ناقلين على فاتح القسطنطينية وكانوا يتحينون الفرص لاسترداد ما أخذهم منهم وكان التعصب الديني على أشده فكان من مصلحة أوروبا ان يشتد النزاع بين الاخوين وان تساعد أحدهما على هلاك الآخر ؟ ولكن على من تعود الفائدة من ذلك ؟ وهل يصبح جم بعد ان تتكامل مساعدتها له بالنجاح الا أسيراً لها وعبداً لتنفيذ أوامرها ؟ ان أوروبا لا تعرف النجدة والمرؤة بل لا تعرف سياسة العواطف ولا تؤمن بها فيما بينها ، فكيف بها حيال الشرقيين ؟ ولكن الشرقيين أهل الاخلاق والعواطف كثيراً ما ينخدعون ثم

ثم لا ينتبهون. هكذا كان شأن الأمير البائس. فمع أنه كان ميالاً لأن يلجأ إلى مصر أو فارس إلا أن هذه النصيحة حولت أفكاره وجعلته يقبل الالتجاء إلى الأور وباوين. وفي ذلك الوقت كانت جزيرة رودس تحت حكم فرسان القديس يوحنا وهم طائفة من رجال الدين المسيحي اشتركت في الحروب الصليبية وكان لها فيها شأن عظيم. فأوفد إلى حاكم الجزيرة رسولاً يعرض عليه ضيافة الأمير وحمايته ومع الرسول كثير من الهدايا. فدعى الحاكم مجلس الجزيرة إلى الانعقاد وتشاوروا في الأمر فقرر المجلس إجابة طلب الأمير وأرسلت له عمارة بحرية تحت قيادة Don Alvarez de Zuniga أقلته إلى الجزيرة وهناك استقبل استقبالاً عظيماً في ٢٣ يولييه سنة ١٤٨٢ وفرشت له الطرق ونثرت فيها الزهور ومشى في ركابه جميع الفرسان ولم يبق في الجزيرة رجل ولا امرأة إلا خرج لرؤيته وكان حاكم الجزيرة ورئيس رهبانها (دوبسون) يسير بجانب الأمير وأقيمت الأفراح والزينات بقدمه أياماً متوالية ولكن لم يمض على حضوره زمن طويل حتى أرسل بايزيد وفداً يطلب إلى الفرسان عقد معاهدة صلح دائم بين البلدين ويطلب تسليم الأمير لقاء حقوق عظيمة يمنحها إلى الفرسان فقبل الفرسان عقد المعاهدة ولكنهم اعتذروا عن تسليم الأمير بحقوق الضيافة وتعهدوا بإبعاده عن الجزيرة مقابل مزايا عظيمة حصلوا عليها ومبلغ من المال يدفعه إليهم بايزيد سنوياً ومن جهة أخرى أخذوا عهداً على الأمير أن يستولى على العرش لينحنيهم كثيراً من الامتيازات والحقوق ثم أظهروا للأمير أن بقاءه في الجزيرة خطر على حياته لأن بايزيد سيرسل جواسيس تدس له السم وإن الأولى به أن يذهب إلى فرنسا ليكون في مأمن فاقنع بذلك وسافر مع حاشيته في آخر أغسطس سنة ١٤٨٢ ولكنه شعر شعوراً خفياً بأنه لم يصبح حراً ثم بدأ هذا الشعور يزداد كلما اقترب من فرنسا ومنذ ذلك الوقت إلى أن مات تلك الميته الشنيعة في إيطاليا مر عليه ثلاثة عشر عاماً سوداً معتقلاً اعتقالات تختلف درجاته فمن أضيق حالات السجن الانفرادي إلى الحرمان من التنقل من جهة إلى أخرى، تتقاذفه أيدي الفرسان تارة والفرنساويين تارة أخرى والبابا مرة ثالثة يسامون عليه في مزاد أطاعهم السياسية ويلوحون به لبايزيد كما بدا لهم تخوينه للحصول على شيء منه ولم يتعفف كبير الفرسان عن أن يبتز المال من والدته التي كانت ضيفة على مصر موها إياها أنه يعيد إليها ابنها فكانت هذه

المسكينة تبيع حليها لتدفع له ما يطلب. ولكي يوهما بصدقه كان يضطر الامير الى الامضاء على أوراق بيضاء كان يستعملها في كتابة خطابات عن لسانه لوالدته سارت سفينة الامير محاذية لسواحل ايطاليا حتى وصل الى مدينة نيس فأعجب بها الامير كثيراً ونظم قصيدة في مدحها وكان يود الإقامة بها الا أنه كان يرجح اصطحاب جيش من الاوروبيين والاسراع به الى الروملي لقتال بايزيد فأفهموه انه يجب عليه أن يرسل رسولا الى ملك فرانسأ يقدم له فرائض الصداقة ويلتمس منه المعونة فأرسل أحد أتباعه المدعو خطيب زاده الى باريس ولكن هذا الرسول قبض عليه الفرسان وحبسوه ثم نقلوا الامير من نيس بدعوى الخوف عليه من الطاعون في فبراير سنة ١٤٨٣ وأخذوا يتنقلون به في بلاد فرانسأ فمن شامبرى الى پوى الى قلعة ساسيناج الى برج نوف وشاتوفور فأدرك الامير ان الفرسان قد خدعوه وانهم لا يريدون أن يتصل بأى ملك من ملوك أوروبا وانهم يريدون أن يبقى في قبضتهم ليكون مورد مال يتقاضونه من بايزيد فحاول الاتصال بملك فرانسأ أو بملك المجر فأرسل اليهما رسلا فعلم بذلك الفرسان ففصلوا عنه رجاله واعتقلوه في قلعة (ساسناج) وضيقوا عليه وحرموه من جميع رجاله وقد حاول الهرب فلم يفلح وكان صاحب هذه القلعة دوق له ابنة على غاية من الحسن تسمى (فليبينه هيلانه) فتعاق الامير بحبها وأحبته هي أيضاً وكان غرامه هذا معيناً له على تحمل آلام الاسر والوحدة وخيبة الرجاء ولو أن هذا الحب لم يحل بين نفسه وآلام وجدانية شديدة كانت سبباً في تبدل عظيم في أخلاقه وعواطفه فبعد أن كان يلتهب شوقاً الى المجد ونفسه نائرة على أخيه وقلبه وثاب الى الملك أصبح يتمنى حياة هادئة متواضعة وأن يكون حراً طليقاً حتى انه أرسل الى بايزيد يستعطفه وأصبح رقيق القلب مهذب الاخلاق وهكذا يفعل الحب في نفوس الرجال مالا تفعله المصائب

أرسل بايزيد رسولا الى ملك فرانسأ يطلب إليه إبعاد جيم ورأى الفرسان ان الفريسة ستفلت من يدهم فسلموا الامير الى البابا (اينوسان الثامن) في ١٣ مارس سنة ١٤٨٩ مقابل مبلغ كبير من المال فسيق الى روما وهناك قابل البابا وشكا ما لاقاه من ألم السجن والغربة ورجاه أن يرسله الى مصر ليرى أمه وزوجته وأولاده الذين طال فراقه عنهم فرق له البابا حتى انه بكى شفقة عليه ولكنه

أفهمه استحالة سفره الى مصر الآن لأن ملوك أوروبا يتخابرون في تشكيل جيش تحت قيادته لاجلاسه على العرش . وأفهمه انه يجب عليه أن يتنصر ليكون أهلاً لمساعدة أوروبا فرد الامير على هذا الامر باباء قائلاً انه لا يبيع دينه بملك جميع العالم والحق ان الامير كان في أسره مثالا للكرامة وعزة النفس ولم يؤثر عنه ما يخل بشرف الملوك حتى انه لما دخل على البابا لم يقبل احناء رأسه ولا تقبيل يده كما كان يفعل ملوك أوروبا في ذلك الحين . ظل معتقلاً في القلعة اتي كان زمناً وفشلت مخابرات الدول بشأنه لما كان يبذله بايزيد من المساعي ولما كان بين الدول نفسها من الاختلافات ومات البابا اينوسان وخلفه الجاني العظيم الكسندر بورجيا . لم يقتنع هذا البابا بالمبلغ الذي كان يدفعه بايزيد سنوياً أجراً لحبس جيم بل اتفق مع بايزيد على قتل جيم مقابل مبلغ عظيم من المال يعطى له مرة واحدة ولكن حصل في ذلك الوقت أن شارل الثامن ملك فرنسا كان يحاصر روما في سبتمبر سنة ١٤٩٤ ووضع في شروط الصلح مع البابا أن يسلم اليه الامير جيم فأراد البابا أن يستفيد من الجهتين فسلم الامير الى ملك فرنسا ولكنه في نفس الوقت وكل به رجلاً من رجاله يدس له سما بطيء التأثير في الماء فما وصل الامير الى نابولي حتى كان السم قد أكمل مفعوله فمات وهو في ريعان شبابه بعيداً عن أمه وزوجته وأولاده في ٢٤ فبراير سنة ١٤٩٥ ضحية الغدر . ترى لو كان التجأ الى مصر ماذا كان يحصل ؟ لاشك ان عاقبته مهما ساءت كانت تكون خيراً من ذلك بكثير بل ان مصر كان يمكنها في ذلك الوقت أن تقتصر على بايزيد وأن تبقى نفسها مما أصابها بعد ذلك على يد ابنه سليم

وكانت آخر كلمة قالها وهو يلفظ النفس الأخير « اللهم ان كان أعداء الدين يريدون استخدامي في أغراض ضارة بالمسلمين فعجل بموتي ولا تحقق غرضهم »
محمد خليل

قال أرسطو طاليس لآخوانه في الدرس :

« نحن نحب أفلاطون ونحب الحق . فاذا اختلفا فأيهما أولى بالمحبة والاحترام »